المحاضرة رقم 7: الشيخ مبارك الميلي (1897-1945)

مقدمة:

يعتبر مبارك الميلي من بين أولئك الذين لعبوا دورا كبيرا في الحركة الإصلاحية وإرساء أركانها في الجزائر ونشر أفكارها بشتى الوسائل، من تأسيس المدارس للتعليم والوعظ والإرشاد في المساجد، والمساهمة بالمقالات المختلفة في الصحافة الاصلاحية...صاحب كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" و" رسالة الشرك ومظاهره"...

1-المولد والنشأة والتكوين:

ولد مبارك الميلي بن محمد بن رابح بن علي بن ابراهيم سنة 1897 بدوار أولاد مبارك بنواحي الميلية، وعاش يتيما تحت كفالة جدّه، ثم كفله عمّه بعد وفاة جدّه، دخل كتّاب القرية، وواصل تعليمه بتوجهه إلى مدينة ميلة بتشجيع وتوجيه من شيخه، وبموافقة أسرته، وكان مقصده مدينة ميلة لقربها من الميلية ولأنها توفر له نوع التعليم الذي كان يبحث عنه، وربما لأنّ فيها الشيخ بن منصور محمد الميلي.
وفي ميلة تولى كفالته مصطفى بوالصوف أحد أعيان المدينة والمستشار العام بها آنذاك...وفي هذه المدينة تعلّم على يد الشيخ بن منصور محمد الميلي، وهو من أشهر المدرسين بمدينة ميلة، الذي سيكون قدوته في العلم والأخلاق والتربية.وتطورت فيما بعد العلاقة فيما بينهما إلى حدّ المصاهرة حيث تزوج مبارك الميلي احدى بنات الشيخ بن منصور.
وفي ميلة أضا حفظ القرآن الكريم، ثمّ حفظ النصف من متن خليل، وبقي بها حوالي ثلاث سنوات من 1916 إلى 1919، التحق بعدها بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة سنة 1919، أين كان يدرّس به الشيخ ابن باديس.
ويبدو أن شهرة هذا الأخير هي من حملته على مغادرة ميلة التي لم يعد التعليم بها يشبع رغباته، ولأن قسنطينة كانت آنذاك نقطة عبور ضرورية لمن يريد متابعة دراسته بجامع الزيتونة بتونس. وبالفعل وصل إليه بعد أن بقي بقسنطينة حوالي سنة من الزمن. وقد يكون ابن باديس هو من وجهّه إلى الزيتونة. حيث زاول به دروسه مدة ثلاث سنوات إلى أن نال شهادة التطويع سنة 1924.
عند عودته من تونس، ومعه العربي التبسي، السعيد الزموشي، والسعيد الزاهري، انضم مبارك الميلي لسلك التعليم، وتوجه إلى الأغواط وبقي بها معلما ومدرسا من 1927- إلى 1933. يلقي دروس الوعظ والارشاد في الجامع العتيق بها، كما أسس جمعية خيرية لمساعدة الفقراء والمساكين، ونظرا لمكانته بي أهل الأغواط

وسمعته خصص له مبلغ مالي معتبر كراتب شهري قدرته بعض المصادر ب700 فرنك، وهو أجر مرتفع إذا ما قورن بمرتبات المعلمين والموظفين آنذاك.
وفي الأغواط ألّف مبارك الميلي كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في جزأين رغم الصعوبات التي واجهته في ذلك.
وفي الأغواط أيضا استطاع مبارك الميلي بمساعدة بعض الأغواطيين المهتمين بميدان الثقافة والتعليم أن يدشّن مدرسة جديدة سنة 1930، وهي "مدرسة الشبيبة"، حيث كانت مدرسة رائدة في تنظيم امتحانات الحصول على شهادة التعليم الابتدائي، كما كانت تحضّر للدخول إلى الجامع الأخضر بقسنطينة. وقد استطاع الميلي خلال فترة مكوثه بالأغواط أن يحضّر ويرسل بعثة من طلابه إلى جامع الزيتونة، كما تولى بعض تلامذته فيما بعد مسؤوليات في جمعية العلماء كالشيخ أبو بكر الأغواطي (كاتب عام الجمعية سنة 1948)، وأحمد بوزيد قصيبة وأحمد شطّة وغيرهم.
وكان الميلي يساهم ببعض المقالات في مجلة الشهاب حول مواضيع لساعة كالإدماج والتجنيس، وتمّ تعيينه كأمين مال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر ماي 1931، كما كان الميلي يسافر من حين لآخر إلى المدن المجاورة كبوسعادة وآفلو والجلفة لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد.

وبعد أن قضى الميلي في الأغواط مدّة سبع سنوات كان من أهم الداعين للإصلاح الديني في الجنوب الجزائري، غادرها سنة 1933، بعد أن ترك الكثير من مريديه وتلامذته الذين أكملوا المشوار فيما بعد، وتوجه نحو بوسعادة التي لم يمكث فيها كثيرا هي الأخرى، وعاد إلى ميلة التي أسس فيها المدارس والجمعيات والنوادي الثقافية وكوّن نواة صلبة للحركة الإصلاحية، وقد لقي ترحيبا ودعما كبيرين من أهل ميلة، ورغم المشاكل التي كان يواجهها الميلي من طرف الإمام الرسمي (بوفمة)، والإدارة الفرنسية إلا أنه لم يتوقف عن نشاطه، حيث أنشأ النادي الإسلامي في إطار نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وترأسه السيد بن عميرة، وتمثل نشاطه في تنظيم المحاضرات وإلقاء الدروس العامة، وقد استطاع الميلي كسب عطف وتأييد رئيس البلدية الفرنسي (جيلي)، وفي سنة 1934 أسس الميلي جمعية (حياة الشباب)، وكان هدفها تربية الشباب على مبادئ الاسلام وإبعادهم عن المخاطر والآفات التي كانت تهددهم.
ويعدّ بناء مدرسة حديثة وإلى جانبها مسجد كبير للصلاة من أهم الإنجازات العظيمة التي قام بها الميلي في ميلة وبمساهمة سكان أواخر سنة 1935.
وبالإضافة إلى نشاطه لمدرسي والمسجدي والاجتماعي بمدينة ميلة فقد كان الميلي يساهم من حين لآخر بمقالاته في مجلة الشهاب لابن باديس، والبصائر لجمعية

العلماء خاصة مقالاته حول "الشرك ومظاهره" التي جمعها في كتاب تحت عنوان "رسالة الشرك ومظاهره" لمواجهة البدع والخرافات التي كانت تقف وراءها الطرقية. كما تولى أيضا رئاسة تحرير جريدة البصائر التي حولت من الجزائر إلى قسنطينة من 1937 إلى 1939. وبعد وفاة الشيخ ابن باديس في أفريل 1940 خلفه الميلي في إدارة شؤون الجامع الأخضر والإشراف على الدروس إلى أن حولت الدروس إلى تبسة فيما بعد وأصبح يشرف عليها الشيخ العربي التبسي. وبقي الشيخ مبارك الميلي هكذا إلى أن وافته المنية سنة 1945.

المراجع:

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4 (منقحة)، 1992، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان.
2- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، ت، أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص-ص 29-44.
3- بلقاسم ميسوم، مبارك الميلي رجل الإصلاح ومؤرخ الجزائر، مجلة المواقف، المجلد 1، العدد، 1، سنة 2007. ص-ص 145-152.